دلالات الفصاحة والبلاغة ، دراسة تطبيقية على نماذج من القرآن الكريم

الباحثان: أ.د : أحمد فريد صالح ، استاذ التفسير وعلوم القرآن، كلية الشريعة ، الجامعة الأردنية
د. سليمان بن علي بن عامر الشعيلي، استاذ مشارك، كلية التربية، جامعة السلطان قابوس

ملخص البحث

لا شك أن أهم وجوه الإعجاز هو الإعجاز البياني، أي نظمه المعجز الذي يعتمد على علمي المعاني والبيان. يتحدث هذا البحث عن دلالات الفصاحة والبلاغية، دراسة تطبيقية على نماذج من القرآن الكريم. ذكر البحث أنه ليكون فصيحا لا بد من خلوصه من تنافر الحروف، ومن الغرابة ، ومن مخالفة القياس اللغوي، أم فصاحة الكلام فلا بد من خلوصه من ثلاثة أشياء أيضا: من ضعف التأليف، ومن تنافر الكلمات ، ومن التعقيد أما الفرق بين الفصاحة والبلاغة أن الأولى أخص باللفظ، أما الثانية فمع اعتبار فصاحة الألفاظ، فهي طريقة إيصال المعنى مع الاحتراز عن الخطأ وعن التعقيد. ثم استعرض البحث أربعة نماذج من بلاغة القرآن الكريم يتبين منها علو اسلوب القرآن الكريم الذي أعجز العرب أن يأتوا بمثله.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

من المقرر أن القرآن الكريم قد استولى على عقول المسلمين، وملك قلوبهم، فشغلوا به، وفرغوا له، وما كان كذلك إلا لتذوقهم حلاوته، تلك الحلاوة التي لم يجدوا لها شبيها من مذاقات أصناف الطعام وأنواع الشراب، وكان النبي صلى الله عليه وسلم هو قدوتهم وإمامهم في صحبته للقران الذي نزل على قلبه يلقى ما ينزل عليه من السماء في شوق ولهف، فما أن يسمع الكلمة من كلمات الله تعالى الذي يلقى بها جبريل عليه السلام على سمعه، أو في قلبه حتى يحملها على لسانه ليطعم من حلاوتها، وكان ذلك داعيا له إلى العجلة، ولهذا دعاه الله تعالى أن يأخذ نفسه بشيء من الرفق فقال تعالى : {**لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ**}(القيامة 16 -18)

والسؤال الذي يفرض نفسه هنا : ما شأن هذه الكتاب الذي يستولي على كيان الإنسان كله، وتأخذ عليه حسه ووجدانه وعقله وقلبه، مع أن كلمات القرآن كلها؛ كلمة كلمة كانت معروفة للعرب، مألوفة لديهم، جارية على ألسنتهم، تعاملوا بها، وقلبوها في مختلف الأساليب،وشتى التراكيب، حتى الشعراء المفوهين الذين أدركوا الإسلام، وذاقوا طعم بلاغة القرآن،فقد أدركوا ضآلة شعرهم وضعفه إزاء آيات القرآن، وإشراقها ،حتى إذا ما قورن به كان حصى وترابا يطاول الكواكب والنجوم، وهيهات أن يعترض صاحب الحصى والتراب ليسوم صاحب الجواهر واللآليء، إنه إن يفعل فقد شهد على نفسه بالسفه والجنون. وصدق الله تعالى : **{لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ** }(فصلت :42).

ليس من شك أن هناك سرا جعل لهذا الكتاب العزيز بألفاظه،وعبارته وأسلوبه، وقعا جديدا على آذانهم، وسلطانا قاهرا على قلوبهم، حتى ليستمع أحدهم إلى كلماته تتلى وهو متجه إليها بقلب يغلى حقدا وحسدا، ثم إذا هو لا يجد ذلك القلب الذي كان معه، وإذا هو خزيان يرجف هلعا، ويضطرب فزعا،وما قصة الوليد بن المغيرة عنا ببعيد ، وليس هو وحده الذي أسره جلال القرآن الكريم وروعته، بل غيره كثير ممن وجد نفسه مرغما على السير في ركابه، كجبير بن مطعم [9]، ومشهور أمر ابن الخطاب الذي خرج يريد رسول الله،صلى الله عليه وسلم، ويعمد لقتله، لكنه لم يلبث أن آمن لما دخل إلى سمعه بعض آيات القرآن[10]

لقد رأوا ما لا قبل للإنسان به، حتى كثير من الذين استمعوا إلى القرآن قبل أن يسلموا، أخذوا بروعته، وفاضت نفوسهم خشية، ورهبة لما كان يطلع عليهم من لمسات بيانية،كيف لا، وفصاحة الكلمة في أفواههم، قد أعطت كل ما يمكن أن يعطيه لإنسان، فلما أخذ القرآن هذه الكلمات واستعملها، غدت جنة وارفة الظلال، شهية الثمر ،وجاءت بخير كثير لم يكن لها أن تعطيه أبدا في صنعة إنسان على لسان.

إن بلاغة القرآن، وفصاحته وما يطوى فيها من الصور البيانية هو سر إعجازه، ومتابعة التطلع إليه، وليس من شك بأن لها الفضل الأول في الكشف عن كنوز اللغة العربية ،وبيان أسرارها، وفي معرفة ما لها من ميزة التفوق على غيرها من اللغات،حتى نزل بها القرآن الكريم، فوسعته معنى وأسلوبا، على ما فيه من روعة وجلال،فكان ذلك شهادة لها بإحراز قصب التقدم .

من أجل هذا كله عزمْنا مستعينينً بالله العزيز الحميد ،ومستلهمين العون منه، أن نكتب في موضوع نبين من خلاله سر إعجاز القرآن الكريم، بما احتواه من بارع اللفظ، ورائع الأسلوب، وسمو البلاغة ، التي أعجزت كل متكلم، وأخرست كل ناطق ، حتى وقف فرسان حلبة اللغة ، وحاملوا لوائها،أمام القرآن الكريم واجمين، وخر له عباقرة البيان ساجدين. وقد أسميناه :

دلالات الفصاحة والبلاغة، دراسة تطبيقية على نماذج من القرآن الكريم

ولقد رأينا أنه ما يزال في القوس منزع، فبتنا نطمع أن ينضم جهدنا إلى دراسة السابقين، معتمدين على ما سطروه بيراع أقلامهم، نجْمَعَ بما تيسر لنا ما انتهوا إليه من علوم البلاغة، محاولين الانتقاءَ، وجمع متفرقاته من مؤلفات شتى تيسرت لي، ونظمها في سمط واضح، اختياراته موثقة، وأدلته مصححة، متجاوزين التفصيلاتِ، بحيث تظهر الملامح التي بينها العلماء في هذا الصدد، بالأُسلوب السهل، والأيسر في تَطْبيق قواعدها على الأمثلة من القرآن، وغيره من نَثْرِ وشِعْرِ البلغاء، والتشجيع على الاقتداء عند البيان،بالنماذج الرفيعة من النُّصوصِ البليغة.

وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن يكون من : ثلاثة مباحث، يبدأ بمقدمة.

المبحث الأول :دلالات الفصاحة والبلاغة،والفرق بينهما.وفيه مطلبان.

المطلب الأول : دلالات الفصاحة والبلاغة.

المطلب الثاني : الفرق بين الفصاحة والبلاغة.

المبحث الثاني : ضوابط الفصاحة ومدار البلاغة.وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : **ضوابط الفصاحة، وطرق معالجة عيوب اللفظ.**

المطلب الثاني : **مدار البلاغة،** وأقوال العلماء فيها.

المطلب الثالث : سبل تمييز الكلام،ونماذج من التعرف على جودة الكلام من رداءته.

المبحث الثالث : نماذج قرآنية على الفصاحة والبلاغة.

الخاتمة :

وبعد :

فنرجوا أن نُوَفّق لتحقيق ما عزمْتنا عليه، مع يقيننا المطلق أن عمل الإنسان معرض للخطأ والنسيان، وإذا كان القصور ضريبة بشرية، فليس لناعن قدرنا من مفر.

ندعوا الله تعالى أن يكون عملنا خالصا لوجهه الكريم، وأن يلقى هذا الجهد المتواضع الفائدة المرجوة،خدمة للقران الكريم،وأن ينتفع به يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم. والله من وراء القصد وهو المستعان.

المبحث الأول

دلالات الفصاحة والبلاغة والفرق بينـهما

المطلب الأول

تعريف الفصاحة والبلاغة

أولا: تعريف الفصاحة لغة واصطلاحا:

(أ) الفصاحة لغة

قال في اللسان: "الفصاحة : البيان، فصح الرجل فصاحة، فهو فصيح من قوم فصحاء، وفصاح، وفصح،،وامرأة فصيحة ، وكلام فصيح: أي بليغ، ولسان فصيح: أي طلق. وفصح الأعجمي، بالضم ، فصاحة، تكلم بالعربية، وفهم عنه، وقيل : جادت لغته حتى لا يلحن، وأفصح : تكلم بالفصاحة.

والفصيح في اللغة : المنطلق اللسان في القول الذي يعرف جيد الكلام من رديئه، وقد أفصح الكلام وأفصح به، وأفصح عن الأمر، ويوم مفصح : لا غيم فيه ولا قر، وأفصح اللبن: ذهب اللبأ عنه، وفصح اللبن إذا أخذت عنه الرغوة، وأفصحت الشاة والنافة : خلص لبنها، والفصح: بالكسر: فطر النصارى وهو عيد لهم، وأفصح الصبح: بدا ضوؤه واستبان، وكل ما وضع فقد فصح.[10] الفصاحة عند ابن سنان، هي الظهور والبيان[11]

(ب) الفصاحة اصطلاحا:

أما في الاصطلاح فهي قسمان: راجع إلى المعنى، وهو خلوص الكلام عن التعقيد، وراجع إلى اللفظ، وهو أن تكون الكلمة عربية أصيلة, وأن تكون أجرى على قوانين اللغة ، وأن تكون سليمة عن التنافر. [12]

يلتقي المعنيان –كما هو ظاهر– في خلوص الشيء مما يكدر صفاءه وأصالته، سواء كان في الكلام إذا خلص مما يكدر معناه أو ألفاظه، أو في غيره مما قد يؤثر على نقائه ووضوحه، وعليه فإن الفصيح من الكلام ما كان خاليا من التعقيد أو التنافر أو الغموض، بحيث لا يؤدي المعنى المراد، أو يؤديه بصعوبة.

ثانيا : البلاغة لغة واصطلاحا :

(أ) البلاغة لغة

البلاغة أخت الفصاحة من حيث اشتراكهما في الهدف وهو بلوغ المعنى إلى السامع في احسن صورة وأقرب عبارة، قال في اللسان: "بلغ الشيء يبلغ بلوغا وبلاغا: وصل وانتهى، وأبلغه هو إبلاغا وبلغه تبليغا.

وتبلغ بالشيء : وصل إلى مراده، البلاغ: ما يتوصل به إلى الشيء المطلوب، والبلاغ: ما بلغك، والبلاغ : الكفاية ومنه قول الراجز: تزج من دنياك بالبلاغ * وباكر المعدة بالدباغ. وتقول : له في هذا بلاغ ، وبلغة ، وتبلغ: أي كفاية.

والبلاغ: الإبلاغ" وفي االتنزيل "إلا بلاغا من الله ورسالاته" أي لا أجد منجى إلا أن أبلغ عن الله ما أرسلت به، والإبلاغ: الإيصال، وكذلك التبليغ، والاسم منه البلاغ.

وبلَغ الفارس: إذا مد يده بعنان فرسه ليزيد في جريه. وبلغ الغلام: احتلم، كأنه بلغ وقت الكتاب عليه والتكليف..وبلغت المكان بلوغا: وصلت إليه، وكذلك إذا شارفت عليه، ومنه قوله تعالى "فإذا بلغن أجلهن" إي قارينه، وبلغت النخلة وغيرها من الشجر: حان إدراك ثمرها.

والبلاغة: الفصاحة، والبلغ والبلغ بالفتح والكسر : البليغ من الرجال ، ورجل بليغ: حسن الكلام فصيحه، يبلغ بعبارة لسانه كنه ما في قلبه، والجمع بلغاء.

والبلغة: ما يتبلغ به من العيش، وتبلغ بكذا أي اكتفى به.[13]

قال الاصمعي: "البليغ من طبق المفصل وأغناك عن المفسر"[14]

وقيل للعتابي: ما البلاغة؟ قال: كل من أفهمك حاجته، من غير إعادة، ولا حبسة ، ولا استعانة فهو بليغ، ... فقلت له: قد عرفت الاعادة، والحبسة، فما الاستعانة؟ قال: أما تراه إذا تحدث قال عند مقاطع كلامة: يا هناه، ويا هذا، ويا هيه، واسمع منى، واستمع إلي، وافهم عنى، أولست تفهم، أو لست تعقل، فهذا كله عي وفساد"[15]

وقال بعضهم-وهو احسن ما اجتيناه ودوناه- لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه، ولفظه معناه، فلا يكون لفظه إلى سمعك أقرب من معناه إلى قلبك"[16]

قال الراغب:

"البلوغ، والبلاغ : الانتهاء إلى أقصى المقصد والمنتهي، مكانا كان أو زمانا، أو أمرا من الأمور المقدرة، وربما يعبر به عن المشارفة عليه وإن لم ينته إليه. فمن الانتهاء " بلغ أشده وبلغ اربعين سنة" الاحفاف: 15، وقوله عزوجل "فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن" البقرة : 232، ... والبلاغ : التبليغ نحو قوله تعالى: "هذا بلاغ للناس" ابراهيم: 52، .. والبلاغ : الكفاية، نحو قوله تعالى " إن في هذا لبلاغا لقوم عابدين" الأنبياء: 106، أما قوله تعالى " فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف" الطلاق: 2، فللمشارفة.[17]

قوله تعالى "هذا بلاغ للناس" ابراهيم: 14، أي هذا القرآن بيان كاف للناس، ,اصل البلاغ الكفاية، ومنه قوله تعالى " إن في هذا لبلاغا لقوم عابدين" الانبياء: 21 ، والبلاغة في الكلام مثل ذلك، لأنها بيان كاف..

(ب) البلاغة اصطلاحا :

لما كانت البلاغة إنما تقع وصفا للكلام والمتكلم، لذا يختلف تعريفها باختلاف موصوفه يقال : هذا كلام بليغ، وهذا متكلم بليغ، ولا توصف بها الكلمة ، فلا يقال هذه كلمة بليغة، لعدم ورود السماع بذلك.

(1) : بلاغة الكلام :

هي مطابقته لمقتضى حال الخطاب،مع سلامته من العيوب المخلة بفصاحته، وفصاحة أجزائه ([11]).

بيان ذلك:

حال الخطاب : أي المقام الذي ورد فيه الخطاب هو الأمر الحامل للمتكلم،على أن يورد كلامه في صورة خاصة.

ومقتضى الحال هو: تلك الصورة الخاصة التي ورد عليها كلام المتكلم، وهو مختلف، لان مقامات الكلام متفاوتة، فمقام التنكير يباين مقام التعريف، ومقام الإطلاق يباين مقام التقييد، ومقام التقديم يباين مقام التأخير ......وكذا لكل كلمة مع صاحبتها مقام إلى غير ذلك.

ومطابقة الكلام للمقتضى : هي اشتماله على هذه الصورة الخاصة. فإنكار المخاطب مثلا " حال "، لأنه أمر يحمل المتكلم على أن يورد كلامه على صورة التأكيد، محوا لهذا الإنكار. وصورة التأكيد التي ورد عليها الكلام هي مقتضى الحال. واشتمال الكلام على هذه الصورة هي معنى مطابقته للمقتضى.

مثال ذلك : أن تقول لمنكر خلافة عمر رضي الله عنه للمسلمين: إن عمر لخليفة المسلمين،فإنكار المخاطب هو الحال، لأنه أمر دعاك لان تورد كلامك مصورا بصورة التأكيد، وصورة التأكيد هي مقتضى الحال، واشتمال هذا الكلام على هذه الصورة هي المطابقة للمقتضى، فهذا القول حينئذ كلام بليغ لأنه مطابق لمقتضى الحال.

ومثل الإنكار، المدح فهو حال تدعو المتكلم لان يورد كلامه على صورة الإطناب، لان مقام المدح يقتضي الإطالة في القول والبسط فيه. وكذلك ذكاء المخاطب حال تدعو المتكلم لان يورد كلامه على صورة الإيجاز، لان مقام الذكاء يقتضي الاختصار في الكلام، وكل من صورتي الإطناب والإيجاز مقتضى الحال، واشتمال الكلام على صورة الإطناب،أو الإيجاز مطابقة للمقتضى،وهكذا يقال في كل حال من أحوال الخطاب.

وهنا لا بد من الإشارة إلى انه قيل غير ذلك من تعريف للبلاغة لا نستطيع عرضها، مخافة الإطالة ([12])، إلا أن الذي يقرر أنها لا تخرج عن التعريف السابق. وأمر آخر انه مهما قيل في بيانها : فإنها ستبقى قاصرة عن الوفاء بوصفها، فهي أعظم من أن توصف، فإمكاناتها وإيداعاتها كبيرة عظيمة.

(2) : بلاغة المتكلم :

هي ملكة، أو صفة قائمة بالمتكلم راسخة فيه، يتمكن بها متى شاء،من تأليف كلام بليغ في معنى يريده ([13])، في أي فن من فنون الكلام. فمن كان كذلك، فهو بليغ. وإذا فقد هذه القدرة لم يكن بليغا، كما لا يكون كذلك إذا استطاع صوغ الكلام البليغ في معنى دون آخر.

المطلب الثاني

الفرق بين الفصاحة والبلاغة

من خلال التعريف اللغوي لكل من الفصاحة والبلاغة، واستعمالات القرآن الكريم لهما، يتبين بوضوح أن الفصاحة تسند إلى اللسان، وأن البلاغة غايتها النفوس ([14]).

أما من حيث التعريف الاصطلاحي لهما، فقد تبين بعد الدراسة والتحقيق، أن كل مصطلح يختلف عن الآخر، وقد ذكر صاحب الطراز أهم هذه الفروق([15]) يمكن أن نوجزها كما يلي:

أولا : من جهة جري الأوصاف اللفظية .

إن المعهود عند أهل البيان أنهم يصفون البلاغة بما لا يصفون به الكلام الفصيح ، فهم يصفون كل منهما بما يليق به، وقد تبين لنا ذلك جليا عند تعريف كل منهما اصطلاحا. فالفصاحة تُعنى بسلامة الألفاظ، وبعدها عن الغرابة، وغيرها من الضوابط.

أما البلاغة فتُعنى بالمعاني والمقامات، ولذا قالوا : إن الكلام لا يستحق الاتصاف بالبلاغة حتى يتسابق لفظه معناه، ومعناه لفظه، فلا يكون لفظه أسبق إلى السمع من معناه إلى القلب.

ثانيا : من جهة العموم والخصوص.

فان البلاغة أعم من الفصاحة .لان البلاغة شاملة للألفاظ والمعاني جميعا، وأما الفصاحة فهي خاصة بالألفاظ من أجل دلالتها على معانيها ، ولهذا يقال : "كل كلام بليغ فهو فصيح،وليس كل كلام فصيح بليغ" ([16]).

<u>ثالثا</u> : من جهة الإفراد والتركيب.

فالبلاغة إنما يكون موردها في المعاني المركبة دون المفردة، وأما الفصاحة تكون في الكلمة المفردة، كما تكون في الكلم المركبة، ولهذا فان الكلمة الواحدة،توصف بكونها فصيحة بالشروط المعروفة، ولا توصف الكلمة المفردة أنها بليغة، لأنها لا تظهر دلالتها بشكل مؤثر إلا في كلام منتظم متسق، فالمعنى البليغ إنما يكون حيث ينتظم الكلام، فعند هذا يبرز جوهره في تأليفه، فيوصف بالبلاغة.وهذا ما ذهب إليه ابن الأثير، يقول: إن

(البلاغة لا تكون إلا في اللفظ والمعنى بشرط التركيب،فإن اللفظة الواحدة لا يطلق عليها اسم البلاغة، ويطلق عليها اسم الفصاحة، إذ يوجد فيها وصف المختص بالفصاحة، وهو الحسن، وأما وصف البلاغة فلا يوجد فيها، لخلوها من المعنى المفيد الذي ينتظم كلاماً) ([17])

المبحث الثاني

ضوابط الفصاحة ومدار البلاغة

(أولا) : ضوابط الفصاحة :

ذكر السعد في شرح المختصر أن "الفصاحة تكون في المفرد إذا خلص من ثلاثة أشياء: تنافر الحروف لأن يوجب ثقلها في اللسان، وعسر النطق بها، والغرابة: وهي كون اللفظة وحشية غير ظاهرة المعنى، ولا مأنوسة الاستعمال، وألا تكون مخالفة للقياس: أي على خلاف قانون مفردات الألفاظ الموضوعة". ونقل السيوطي في المزهر أن "المفهوم من كلام ثعلب أن مدار الفصاحة في الكلمة على كثرة استعمال العرب لها... ورأي المتأخرون من أرباب علوم اللغة أن كل أحد لا يمكنه الاطلاع على ذلك، لتقادم العهد بزمان العرب، فحرروا لذلك ضابطا يعرف به ما أكثرت العرب من استعماله من غيره، فقالوا الفصاحة في المفرد : خلوصه من تنافر الحروف، ومن الغرابة ، ومن مخالفة القياس اللغوي.

فالغرابة منه أن تكون الكلمة بسببه متناهية في الثقل على اللسان، وعسر النطق بها، كما روي أن أعرابيا، سئل عن ناقته ، فقال: تركتها ترعى الهخمع، ومنه ما دون ذلك كلفظ مستشزر، في قول امرئ القيس: غدائره مستشزرات إلى العلا. وذلك لتوسط الشين وهي مهموسة رخوة بين التاء وهي مهموسة شديدة، والزاي وهو مجهورة.

والغرابة أن تكون الكلمة وحشية لا يظهر معناها، فيحتاج في معرفتها إلى أن ينقر عنها في كتب اللغة المبسوطة، كما روي عن عيسى بن عمير النحوي أنه سقط عن حمار، فاجتمع عليه الناس، فقال: مالكم تكأكأتم علي تكأكؤكم على ذي جنه، افرنقعوا عني.

أو يخرج لها وجه بعيد، كما في قول العجاج: وفاحما ومرسنا مسرجا.

فإنه لم يعرف ما أراد بقوله، مسرجا، حتى اختلف في تخريجه ، فقيل: هو من قولهم للسيوف : سريجية منسوبة إلى قين يقال له سريج، يريد أنه في الاستواء كالسيف السريجي، وقيل من السراج، يريد أنه في البريق كالسراج.

ومخالفة القياس: كما في قول الشاعر: الحمد لله العلي الأجلل.

فإن القياس الأجل بالإدغام.

وزاد بعضهم في شروط الفصاحة: خلوصه من الكراهة في السمع بأن يمج الكلمة ، وينبو عن سماعها، كما ينبو عن سماع الأصوات المنكرة، فإن اللفظ من قبيل الأصوات، والأصوات منها ما تستلذ النفس بسماعه، ومنها ما تكره سماعه، كلفظ الجرشى، في قول أبي الطيب:

كريم الجرشى شريف النسب.

أي كريم النفس، وهو مردود لأن الكراهة لكون اللفظ حوشيا ، فهو داخل في الغرابة. وإذا كان ذلك في اللفظ المفرد فإن الكلام الفصيح لا بد أن يخلو من أشياء ذكرها أهل اللغة كما يلي:

ثانيا: ضوابط فصاحة الكلام

ذكر أهل اللغة أن الفصاحة في الكلام خلوصه من ثلاثة أشياء أيضا: من ضعف التأليف، ومن تنافر الكلمات ، ومن التعقيد. وزاد بعضهم كثرة التكرار، وتتابع الإضافات.

فأما ضعف التأليف فهو : ان يكون تأليف الكلام على خلاف القانون النحوي المشهور بين الجمهور، كالإضمار قبل الذكر لفظا ومعنى وحكما، نحو ضرب غلامه زيدا.

وأما التنافر فهو: أن تكون الكلمات ثقيلة على اللسان، وإن كان كل منها فصيحا، كقوله:

وقبر حرب بمكان قفر **** وليس قرب قبر حرب قبر

وأما التعقيد–ويراد به كون الكلام معقدا– فهو أن لا يكون الكلام ظاهر الدلالة على المراد لخلل فيه، وهو نوعان، الأول لفظي، وهو أن يكون الخلل واقعا في النظم بسبب التقديم، أو تأخير أو حذف، أو غير ذلك، مما يوجب صعوبة فهم المراد ، كقول الفرزدق :

وما مثله في الناس إلا مملكا**** أبو أمه حي أبوه يقاربه.

ففيه فصل بين المبتدأ والخبر أي أبو امه أبوه، بالاجنبي الذي هو حي ،وبين الموصوف والصفة، أعي حي يقاربه،بالأجنبي الذي هو أبوه، وتقديم المستقنى،أعنى ممكان على المستثنى منه، أعنى حي، ...

والثاني من نوع التعقيد معنوي، وهو أن يكون الخلل واقعا في الانتقال، ومعناه: أن يكون الكلام ظاهر الدلالة على المراد، لخلل واقع في انتقال الذهن من المعنى الاول المفهوم بحسب اللغة إلى المعنى الثاني المقصود، وذلك بسبب إيراد اللوازم البعيدة المفتقرة إلى الوساط الكثيرة، مع خفاء القراين، الدالة على المقصود، كقول العباس بن الأحنف:

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا*** وتسكب عيناي الدموع لتجمدا

جعل سكب الدموع كناية عما يلزم فراق الاحبة من الكآبة والحزن، وأصاب ، لكنه أخطأ في جعل جمود العين كناية عما يوجبه دوام التلاقي من الفرح والسرور، فإن الانتقال من جمود العين إنما يحسن إذا انتقل منه إلى بخلها بالدمع حال إرادة البكاء، وهو حالة الحزن، لا إلى ما قصده من السرور الحاصل بالملاقاة..

ثم ذكر القزويني شيئين أخرين، وهما:

كثرة التكرا ر، أي ذكر الشي مرة بعد مرة؟

وتتابع الإضافات: مثل حماة جرعى حومة الجندل اسجعي.

قال وفي اشتراط الخلوص من هذين زيادة على ماسبق نظر، لأن كثرة التكرار وتتابع الإضافات إن ثقل اللفظ بسببه على اللسان فقد حصل الاحتراز عنه بالتنافر، وإن لم يثقل للفظ بسببه، لم يخل بالفصاحة، وكيف وقد وقع في التنزيل (مثل داب قوم نوح)، (ذكر رحمة ربك عبده زكريا)، ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها)·

وضابط كثرة التكرار أن يذكر الشيء ثلاث مرات أو أكثر، أما تتابع الإضافات فكقول الشاعر:

حمامة جرعى حومة الجندل اسجعي.

ففيه إضافة حمامة إلى جرعى، وجرعى إلى حومة ، وحومة إلى الجندل.

وفي هذين الأخيرين نظر، فإن لم يثقل اللفظ بسببه على اللسان لم يخل بالفصاحة، وقد وقع في التنزيل، في قوله تعالى : "مثل دأب قوم نوح)، و (ذكر رحمة ربك عبده زكريا)..

ثالثا : طرق معالجة عيوب اللفظ :

تبين لنا مما تقدم ما يعرض للفظ من عيوب، وما ينتابه من خلل، فيجمل بنا إذا أن نعرف بم نتقي هذه العيوب، ونتجنب هذا الخلل في كلامنا،حتى يخرج اللفظ سليما معافى في جوهره، وصيغته ومعناه لا يشكو عيبا ،ولا يحس نقصا.فنقول وبالله التوفيق :

(1) من العيوب التي أشرنا إليها :الغرابة، والطريق لاجتنابها بالاطلاع على علم متن اللغة، فمن تتبع كتب اللغة، ووقف على معاني المفردات المستعملة، علم ما عداها مما يفتقر إلى تنقيب، أو تخريج غير سالم من الغرابة.

(2) ومن العيوب "المخالفة " : ويمكن الاحتراز عنها بالوقوف على من نقل عن الواضع في معاجم اللغة، أو بالاطلاع على قواعد الصرف، فهو الباحث في صيغ المفردات ونهج استعمالها. فمن ألم بقواعده، عرف أن نحو " الأجلل " مثلا مخالف دون " الأجل " إذ من قواعدهم أن المثلين إذا اجتمعا في كلمة واحدة، وكان ثانيهما متحركا،ولم يكن زائدا لغرض وجب إدغامهما.

(3) ضعف التأليف والتعقيد اللفظي، هذا النوع من العيوب :يمكن توقيهما بمعرفة قواعد النحو، إذ هو الباحث في طرق استعمال المركبات على الوجه الحق، فمن مارس هذا العلم، وتمرن عليه، ووقف على أصوله ومسائله،استطاع أن يصوغ الكلام على نهج قويم سليم من شوائب الضعف والتعقيد.

(4) التنافر :والطريق السليم لمعالجة هذا العيب : الذوق السليم، فهو ملاك معرفته، فلا حاكم فيه سواه، فهو الذي يدرك أن نحو " مستشز" متنافر دون مرتفع، وهو الذي يدرك ما بين الكلمات من تنافر، أو تضافر،وقد تقدم في ذلك خلاف.

(5) التعقد المعنوي : فمن قام على دراسة علم البيان، وزاوله هذا العلم، وأحصى مسائله،عرف كيف يتوقى التعقيد في معاني الكلام[18].

والاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى، يعرف من دراسة علم المعاني، فمن مارس هذا العلم وكشف عن أمره، ووقف على سره، عرف كيف يتحرج الخطأ في تأدية المعنى المراد، وكيف يطبق الكلام على مقتضيات الأحوال.

أما الوجوه التي تخلع على اللفظ خلعة البهجة والبهاء، فتعرف من علم البديع، إذ به نعرف كيف نحلى من اللفظ جيده العاطل، بما يبهج القلب، ويطرب السمع، ويشرح الخاطر. وقد أجاد العلامة القلقشندي في صبح الأعشى، وهو يتحدث عن وجه احتياج الكاتب إلى المعرفة بعلوم المعاني والبيان والبديع[19].كما أشار الإمام الزمخشري ت 538هـ في مقدمة كتاب الكشاف إلى أهمية إتقان علمي المعاني والبيان، وبذل كل جهد في معالجة مسائلهما، لمن يريد التصدي لفهم كتاب الله تعالى والوقوف على شريف أسراره، وكريم أغراضه.[20]

رابعا: مدار البلاغة

إذا كانت البلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته، فإنها لا شك راجعة إلى الأمور التالية:

أولا: اختيار اللفظ.

ثانيا: حسن التركيب وصحته

ثالثا: اختيار الأسلوب الذي يصلح للمخاطبين، مع حسن ابتداء وحسن انتهاء، وبقدر ما يتهيأ للكلام من هذه الأمور تكون درجته في البلاغة، وتأثيره في النفوس.

يتبين مما سبق أن البلاغة ليست في اللفظ وحده، وليست في المعنى وحده،ولكنها أثر لازم لسلامة تأليف هذين الشرطين، وحسن انسجامهما، وعليه فإن علم البلاغة ينتظم علمين مهمين، هما علم المعاني من حيث الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى ، وعلم البيان من حيث بعده عن التعقيد المعنوي، ثم أضافوا علما ثالثا تابعا لهذين العلمين وهو علم البديع.[18]

المطلب الثاني

---

[18] انظر التفتازاني، مختصر المعاني، ص 58

سبل تمييز الكلام،ونماذج من التعرف على جودة الكلام من رداءته

أولا : <u>سبل تمييز الكلام :</u>

(1) كثرة القراءة والمطالعة للبليغ من الكلام في سائر فنون اللغة، منظومها ومنثورها وخصوصا كتاب الله تعالى، الذي لا تزيغ به الأهواء،ولا تلتبس به الألسنة، إن هذا من شأنه أن يعزز الملكة الوهيبة عند القارئ.ويوجد التذوق الذي لا يتاح إلا لمن مارس هذا اللسان ممارسة مدروسة ومستنيرة، يعرف خصائص هذا البيان، وما يستكن فيها من أسرار، وما تنطوي عليه من قدرات، والتذوق شيء لا ينحصر في الاستماع بجمال العبارة، وإنما هو فوق ذلك وعي بما تحتويه العبارة من فكر وحس، وما ترمي إليه من مرام قريبة أو بعيدة [21]

(2)التمكن من علوم العربية،وخصوصا المباحث البلاغية في علمي المعاني والبيان، فالعلم بهما، وفهم مسائلهما، يترتب عليه القدرة على تقييم صحيح القول من سقيمه وبليغه من ركيكه، وحسنه من قبيحه، فهما الحكم على الكلام، وبيان تفاوت مراتبه ومنازله من البلاغة، وهو المقياس الذي يكشف عن البون الشاسع بين لغة القرآن الكريم، وبين كل بيان عرفته البشرية. وللعلماء مقالات حول أهمية المعرفة بعلوم المعاني والبيان، وانه أحق العلوم بالتعلم، به يعرف إعجاز كتاب الله تعالى، الناطق بالحق. والغفلة عنه لم يقع العلم بإعجاز القرآن الكريم من جهة ما خصه الله به من حسن التأليف وبراعة التركيب.[22]

(3) الوقوف على أساليب البلغاء، وتبَين الفروق الخفية بين صنوفها، والنظر في بيانهم، لأن القرآن الكريم يحتاج إلى مثال يحتذي به، وإلى نماذج يقلدها، ولابد من التمرين والتدريب على تلك الأساليب، وأبلغ هذه الأساليب هو القرآن الكريم، ثم يليه حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد كان يذيع على كل لسان،وكانت خطبه ملء الصدور والقلوب، ثم كلام الشعراء والأدباء.وللتجربة والممارسة يدٌ لا تنكر في تنشيط المواهب الفاتِرة، وإيجاد الحس البلاغي، إذ البليغ (لا غنى له من خصلتين خصلة موهوبة وخصلة مكتسبة) [23]، أما الخصلة الموهوبة : فهي : رقة في الطبع ورهافة في الحس، وسمو في الذوق، وسعة في الخال، وذكاء في العقل، وحضور في القلب، مع امتلاك العين المبصرة النافذة، والأذن الواعية، مرهفة السمع، العاشقة جمال اللفظ، وعذوبة الجرس،وروعة الإيقاع كما قال الشاعر بشار :

ياقوم أذني لبعض الحي عاشقة والأذن تعشق قبل العين أحيانا[24]

فالعلم والذوق البلاغي، من أسس البلاغة، فمن لم يرزقه الله تعالى هذين الأساسين، فلا يفرق بين حسن وقبيح،ولا يميز بين ركيك وفصيح.وفي ذلك يقول إمام البيان عبد القاهر في باب اللفظ والنظم :" واعلم أنه لا يصادف القول في هذا الباب موقعا من السامع، ولا يجد لديه قبولا حتى يكون من أهل الذوق والمعرفة " ([25])

تلـك بعـض الأمـور التــي لابـد منهـا لمـن أراد الوصول الى بلاغة القرآن،وتذوق حلاوتها.

ثانيا : نماذج من التعرف على جودة الكلام من رداءته:

لقد حكى التاريخ لنا كثيرا من هذا الإحساس الذي كان العرب يفرقون به بين الكلمة والكلمة، وعن تلك البصيرة في النقد، كما حدثنا عن سرعة البديهة، والإدراك اللماح، والذوق الرفيع، سواء في ذلك اختيار الكلمة، أو في تفضيل المعاني بعضها على بعض،أو في معرفة عيوب القول ([26]).والشواهد على ذلك كثيرة، نجدها حيث وجد الشعر العربي، وحيث استمع إليه الناس وعقلوه. ومما يروى في هذا لكلمات فصيحة،ومتسقة، لكن أصحابها لم يوفقوا في تلبية المقام،فغدت عليهم سقطات، أن المتلمس أنشد قصيدة جاء فيها قوله :

وَقَدْ أتَنَاسَى الهمَّ عِنْدَ احْتِضَارِهِ... بِنَاجٍ عَلَيْهِ الصَّيْعَرِيَّةُ مكدم([27])

وكان ذلك عند بعض الملوك ينشد شعراً في وصف جَمل، ثم حوَّله إلى نعت ناقة، فلما سمع طَرَفة البيتَ– وهو أحد أصحاب المعلقات – وكان حدثا صبيا، قَال : " قد استَنْوَقَ الجمل "([28])

أي صار ناقة، بهذا الوصف الذي وصفه المتلمس، وذلك في قوله :(عليه الصيعرية) التي هي سِمَة تُوسم بها النوقَ،وتكون في عنقها. وقد ضحك الذين شهدوا هذا الموقف، وشهدوا لطرفة بدقة الملاحظة، ووقدة البديهة، بل إن المتلمس نفسه شهد له بذلك، حين رأى سلاطة لسانه، وثبت جنانه، مع صغر سنه فقال: ويل لرأسك من لسانك[29].

وقديما زل الشعراء لمعنى، أو كلمة نفرت سامعيهم، فأخرجت كلامهم عن حد البلاغة:

وهذا بابٌ واسعٌ فإنك تجدُ متى شئتَ الرّجلينِ قد استعملا كَلماً بأعيانِها. ثم ترى هذا قد فرعَ السَّماكَ، وترى ذاكَ قد لصقَ بالحَضيض. فلو كانتِ الكلمةُ إذا حَسُنَتْ حَسُنَتْ من حيث هي لفظٌ وإذا استحقَّت المزيَّةَ والشرفَ، واستحقَّتْ ذلك في ذاتِها وعلى انفرادِها دونَ أن يكونَ السببَ في ذلك،حالٌ لها مع أخواتها المجاورةِ لها في النَّظم،لما اختلفَ بها الحالُ،ولكانتْ إما أنْ تحسنَ أبداً أو لا تحسنَ أبداً. ولم تَرَ قولاً يضطربُ على قائلهِ حتّى لا يدري كيف يُعبَّرُ وكيف يُرؤِدُ ويُصدرُ كهَذا القول. بل إن أردتَ الحقَّ فإنه من جِنسِ الشَّيءِ يُجري به الرجلُ لسانَهُ ويُطلقُه. فإذا فَتشَ نفسه وجدها تعلمُ بطلانه وتنطوي على خِلافِهِ. ذاك لأَنَهُ مِمَا لا يقومُ بالحقيقةِ في اعتقادٍ ولا يكونُ له صورة في فؤاد.[30]

ومـن أمثلـة ذلـك فقـد حكـوا أن أبـا الـنجم [31]،دخـل علـى هشـام بـن عبـد الملـك وأنشـده:

صفراءُ وقد كادت ولمَّا تفْعل كأنَّها في الأفْقِ عيْنُ الأَحول[32]

وكـان هشـام أحـول فـأمر بحبسـه. والبيـت فـي وصف الشمس عند غروبها فهي صفراء وتستقل، وعين الأحول يراها غير مستقرة، فظن الخليفة أنه يقصده،فأمر به فحجب عنه مدة، وقد كان قبل ذلك من خاصته: يسمر عنده، ويمازحه،ولاشك انه لم يوفق في بيته[33].

ومن الأمثلة قول جرير[34] عندما دخل على عبد الملك بن مروان بقصيدة مطلعها:

أتصحو أم فؤادك غير صاح   عشية هم صحبك بالرواح .

فاستنكر عبد الملك هذا الابتداء وقال له : "بل فؤادك أنت." وجرير في قصيدته انتهج أسلوب التجريد، وهو أسلوب من أساليب العرب، وهو أن يجرد المتكلم من نفسه ذاتاً أخرى يخاطبها،ويخلع عليها النعوت والصفات، ليكون أعذر له فهو يقصد نفسه وذاته في قوله"أتصحو."

وعابوا على المتنبي قوله في رثاء أم سيف الدولة [35].

صلاة الله خالقنا حنوط   على الوجه المكفن بالجمال

الصلاة: الرحمة، والحنوط: طيب يخلط للميت. يدعو لها بأن تكون رحمة الله لها بمنزلة الحنوط للميت.قال ابن وكيع [36]ان وصف الملك بجمال الوجه غير مختار.

وهكذا تبين لنا أن أي خروج على الأسلوب الذي جرى عليه اللسان العربي كان يخدش أذن العربي فينفر منه.

إذا لابدَّ للبليغ أولا من التفكير في المعاني التي تجيش في نفسه، وهذه يجب أَن تكون صادقة ذاتَ قيمة وقوة، يظهر فيها أَثر الابتكار، وسلامة النظر، ودقة الذوق في تنسيق المعاني وحسن ترتيبها، فإذا تم له ذلك عمد إلى الألفاظ الواضحة الملائمة،فألف بينها تأليفا يكسبها جمالا وقوة. فالبلاغة ليست في اللفظ وحده، وليست في المعنى وحده،ولكنها أثر لازم لسلامة تأليف هذين الشرطين وحسن انسجامهما. وهذا هو واقع القرآن الكريم،فإذا تأملته وجدت الإبداع ظاهرا في احتوائه أفصح الألفاظ الرائعة المعبرة،التي تلقاها السمع أحسن قبول. فأي مفردة منه تناولتها بالدارسة والتحقيق وجدت حروفها متلاقية متآلفة،وتجد في مفرداتها البليغ الرصين، والفصيح القريب، اللين في موطنه كذلك، ولو أعدت النظر إليه مرارا وتكرارا،ما رأيت فيه البتة لفظا موحشا، ولا هجينا مذموما أو ثقيلا كريها، مما تنفر منه الطباع المهذبة، أو تمجه الأسماع المرهفة.فالقران انفرد بتلك المنزلة الرفيعة العالية من بين سائر الكلام، إذ كانت كلماته منزلة من الله، ففي كل كلمة من كلماته قبسة من نور الحق، وآية من آيات الحكمة، وقد وصف الله تعالى القرآن بصفاته جل جلاله فقال تعالى : **[يس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ]**(يس:2:1).وقال **[ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ]** (ق:1)، الأمر الذي سأوضحه إن شاء الله تعالى في النماذج التطبيقية. كما أنه انفرد بأسلوب مميز، يقوم على المنهجية السديدة،أظهرُ ميزاته الوُضوح،وسطوع البيان، ورصانة

الحُجه،. وسهولة العبارة، وسلامةِ الذوق في اختيار الألفاظ الواضحة الصريحة في معناها، وحُسن تقريره المعنى في الأَفهام، وأن تُؤلّف هذه الأَلفاظ على صورة تكونُ أَقربَ لنَيْل الغرض المقصود من الكلام، وأفعل في نفوس سامعيه،لأَنه يخاطب العقل، ويناجى الفكر.

المبحث الثالث:

نماذج قرانية على الفصاحة والبلاغة

وإذ قد وقفنا في المبحثين السابقين على تعريف كل من البلاغة، والفصاحة،،، وضوابط كل منهما... الخ، فأذكر في هذا المبحث بعض النماذج القرآنية التي تفوقت في استجماع أزهى ألوان البلاغة في تناسق مدهش،وتداخل متماسك.ففي كل لفظة في القران الكريم له معنى قائم بذاته، وفيه إشعاع نوراني يتضافر مع جملته، ويساعد بعضه بعضا في المعاني العامة للأسلوب والعبارات، وفي العبارات مجتمعة يساعد بعضها بعضا. والواقع أني لا استطيع إحصاء تلك النواحي في جمال ألفاظ القران إحصاء، ولكني أضرب من الأمثال على قدر طاقتي،ومن غير أن أصل إلى أقصى الغاية، وإنما أسدد وأقارب،بل المقاربة فوق طاقتي، وقد سبقني إلى تلك المحاولة فرسان حلبة الفصاحة،وفحول البيان.

الأنموذج الأول

قوله تعالى :[**وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ**] {التَّكوير:18}

المتدبر لهذه الآية الكريمة يرى فيها معان دقيقة تنبعث من كلماتها.

فأولا كلمة الصبح: فهي تدل على انشقاق النور الذي يتخلل الظلمة شيئا فشيئا حتى يستكمل وتطلع الشمس،وينبعث في هذه الوجود، فيملؤه نورا، وتنبعث من بعده الحياة ([37]) ، والحركة التي تدب في كل حي، ويخرج الناس إلى معايشهم كل إلى عمله بعد سبات عميق، وما يغطي به الكون من لباس الظلمة، يقول الاستاذ سيد قطب :(وأكاد أجزم أن اللغة العربية بكل مأثوراتها التعبيرية لا تحتوي نظيراً لهذا التعبير عن الصبح)[38]. فهذه الكلمة تدل على معنى لو غيرت بغيرها مما يكون في معناها ظاهرا مرادفا لها،لا يمكن أن يؤدي المعنى الذي يشرق منها،ويجتمع به في الدلالة صورة اللفظ، وإشراق المدلول.

فكلمة الفجر في قوله تعالى : (وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ)(سورة الفجر: الآيات1،2،3)، هناك من يعدونهما بمعنى واحد في الجملة، ولكن عند الدراسة والتمحيص، وبالنظر إلى الدلالة اللغوية الدقيقة نجدهما مختلفتين. فالفجر أقسم تعالى به الذي هو آخر الليل، ومقدمة النهار، لما في إدبار الليل، وإقبال النهار ، ولذلك نرى اقتران ذكر الليالي بها فهو يتناسب معها، لان الليل متآخ مع الفجر في معناه، وقصد به مجرد نهاية

الليالي. ولكن كلمة الصبح _ كما تبين لنا آنفا– لوحظ فيها الإشارة إلى ابتداء النهار. ولذا يستحسن الناس أن يقال طلع الفجر، ولا يقال طلع الصبح، فهذا إشراق، وذاك إنهاء.

والكلمة الثانية :" تنفس" : قال أهل اللغة : يقال (تَنَفَّسَ الصُّبْحَ: تَبَلَّجَ}[39].وفي لسان العرب :والصبح إِذا تَنَفَّسَ قال : إِذا ارتفع النهار حتى يصير نهاراً بيّناً فهو تَنَفُّسُ الصبح [40]. وفي المعجم الوسيط :(تنفس) أدخل النفس إلى رئتيه وأخرجه منهما.ويقال :تنفس الصبح تبلج وظهر. وتنفس الصعداء تنفس نفسا طويلا من تعب أو كرب[41].

وهكذا تبين لنا من خلال الدلالات اللغوية أن كلمة التنفس تدل على الروح الذي به الحياة ، وهذا هو الواقع، لان أصل التنفس من النفس وهي الحياة، وهي أيضا خروج الريح من الأَنف والفم فهي الحركة الدائمة المستمرة في الداخل والخارج، فهي تشمل ما يدخل النفس من أسباب الحياة،وما يخرج منها لتستمر الحياة. وبذلك تكون كلمة التنفس يندرج فيها معان عدة تتصل بالحياة الدائمة المستمرة. أولها التنفس بمعنى الحياة. وثانيها : حركتها واستمرارها، وثالثها : تدرجها في الظهور شيئا فشيئا حتى تنتشر. يقول القزويني : وقوله تعالى: " والصّبحِ إذا تنفّس "، حقيقته إذا انتشر، وتنفس أبلغ لما فيه من بيان الرّوح عن النفس عن إضاءة الصّبح لأن الليل كرباً وللصبح تفرّجا)[42]. ويجلي هذا المعنى كل من : الزمخشري،والفخر الرازي. يقول الأول : (فإن قلت : ما معنى تنفس الصبح؟ قلت : إذا أقبل الصبح : أقبل بإقباله روح ونسيم، فجعل ذلك نفساً له على المجاز وقيل : تنفس الصبح.)[43] أما الفخر فيقول : (أنه شبه الليل المظلم بالمكروب المحزون الذي جلس بحيث لا يتحرك، واجتمع الحزن في قلبه، فإذا تنفس وجد راحة. فهاهنا لما طلع الصبح فكأنه تخلص من ذلك الحزن فعبر عنه بالتنفس وهو استعارة لطيفة)[44].

أرأيت لو أننا وضعنا كلمة أشرق بدل تنفس، فهل تقوم مقامها؟إن كل كلمة في موضعها ذات بلاغة خاصة تصور صورة بيانية رائعة، وهي مع أخواتها تتلاقى في صورة كاملة، لها أطياف تروع القارئ، وتستولي على قلب المتفهم ([45]).

الأنموذج الثاني

ومن الآيات التي هي من أفصح الكلام وأروع البيان،وأحلى القول،وأجمل صورة، كل كلمة منها في نفسها غرة، وبمفردها درة ، قوله تعالى :

[إِنَّ اللهَ فَالِقُ الحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَمُخْرِجُ المَيِّتِ مِنَ الحَيِّ ذَلِكُمُ اللهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ * فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ] الأنعام:(الآيتان:96،95).

لقد أفاض العلماء وهم يتحدثون عن هاتين الآيتين في بيان مظاهر قدرته، وعظمته، وكمال علمه، وحكمته، عن طريق التأمل في هذا الكون العجيب، وفي بدائع مخلوقاته ([46])، فما موطن الحسن والروعة في الآيتين الكريمتين، وما الأسرار البيانية التي تضمنتهما؟

ـ تأمل التعبيرين المتعاطفين في قوله :(**يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَمُخْرِجُ المَيِّتِ مِنَ الحَيِّ**)، تر المخالفة بينهما، فقد جاء التعبير أولا بصيغة المضارع في إخراج الحي من الميت، على حين جاء بلفظ اسم الفاعل في إخراج الميت من الحي،فما السر في هذا، وما السبب في اختيار ذلك؟

إن لفظ الفعل (يخرج) يدل على أن ذلك الفاعل يعتني بذلك الفعل في كل حين وأوان. وأما لفظ الاسم فإنه لا يفيد التجدد والاعتناء به ساعة فساعة([47]).

إذا ثبت هذا، فيقال : (الحي أشرف من الميت، فوجب أن يكون الاعتناء بإخراج الحي من الميت، أكثر من الاعتناء بإخراج الميت من الحي، فلهذا المعنى وقع التعبير عن القسم الأول بصيغة الفعل، وعن الثاني بصيغة الاسم؛ تنبيهاً على أن الاعتناء بإيجاد الحي من الميت أكثر وأكمل من الاعتناء بإيجاد الميت من الحي. والله أعلم بمراده)[48]

وجانب آخر جاء التعبير بصيغة المضارع لتصور إخراج الحي من الميت، واستحضاره في ذهن السامع، فإذا أنت قرأت قوله :(إِنَّ اللهَ فَالِقُ الحَبِّ والنوى،وجدت تلك المواليد الحية منطلقة من عالم الموات مما لا ينمو كالنطفة والحبة، إلى عالم الحياة،ووجدتها ماثلة أمامك شاخصة إليك من قوله : (**يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ**)،ولا شك إن إخراج الحي من الميت، أظهر في القدرة من عكسه، وهو أيضا أول الحالين، والنظر أول ما يبدأ فيه،ثم القسم الآخر ثان عنه، فكان الأول جديرا بالتصوير والتأكيد في النفس، ولذلك هو مقدم أبدا على القسم الآخر في الذكر حسب ترتبهما في الواقع، ولذا جاءت هذه الجملة (يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ...) فعلية، مجردة عن حرف العطف، لإرادة تصوير إخراج الحي من الميت ـ كما تبين لنا آنفا ـ، لأنه إخبار بضد مضمونه، وكما يقول الإمام الرازي : (إن الحي والميت متضادان متنافيان، فحصول المثل عن المثل يوهم أن يكون بسبب الطبيعة والخاصية، أما حصول الضد من الضد فيمتنع أن يكون بسبب الطبيعة والخاصية، بل لا بد أن يكون بتقدير المقدر الحكيم والمدبر العظيم)([49])وهذا وضع عجيب يدل على كمال قدرته.

فقوله : (**إِنَّ اللهَ فَالِقُ الحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ**) صورة تعرضها الآية عن بعض مظاهر قدرة الله تعالى موات تنطلق منه الحياة. فالحب يفلق فيكون زرعا، إذا أتى حصاده أكل منه الإنسان، وازينت به الأرض، وغير ذلك من الصور والأحياء، ثم التعبير بفالق النوى، وكيف يخرج من النوى الدوحة الباسقة،والوارفة الظلال، والأشجار الدانية القطوف، ثم كيف يعطر الوجود بالرياحين والزهور من هذه النواة اليابسة، وكيف يخرج

من التراب أحياء. ثم بين الله تعالى أن الذي فعل ذلك هو الله جل جلاله في إشارات بيانية، فيها استعلاء، ثم كان الختام باستفهام إنكاري وتعجب، لان الأمر يقتضي التعجب في ذاته، ثم ختم الكلام بختام فيه تنبيه للعقول.

ثم هناك صورة أخرى تقابل هذه الصورة وهي إخراج الميت من الحي. فالله تعالى **(فَالِقُ الحَبِّ وَالنَّوَى.. وَمُخْرِجُ المَيِّتِ مِنَ الحَيِّ)**. فقوله : **(مُخْرِجُ المَيِّتِ مِنَ الحَيِّ)** معطوف على قوله سبحانه فَالِقُ الحَبِّ وَالنَّوى.... وتكون الجملة التي بينهما،وهي قوله تعالى :**(يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ)** كاشفة وشارحة لما قبلها :**(فَالِقُ الحَبِّ وَالنَّوَى)**على ما عليه الأكثر، لأن فلق الحب والنوى بالنبات والشجر النامي من جنس إخراج الحي من الميت، لأن النامي في حكم الحيوان.ألا ترى إلى قوله{**ويحيي الأرض بعد موتها**}[الروم: 50]([50]).

ثم جاء بعد البيان عن الأرض، وما فيه من زروع ونحوه، إلى الحديث عن السماء وما فيها من بروج وشمس وقمر وأفلاك وما يصدر عنها من نور وضياء.

فقال الله تعالى : **(فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ]**، وانك لتلمح في هذه الآية الكريمة سرا بلاغيا.

لقد جاء في نظم الحكيم العليم تخالف بين المتعاطفين : (فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا)،فلماذا لم يجيء النظم على وجه واحد،فكان يقال مثلا: فَالِقُ الإِصْبَاحِ، وَجَاعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا،أو فَلِقُ الإِصْبَاحِ، وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا ؟ إن في موازين النظم الرباني تجد فرقا شاسعا بن فالق وفلق، وبين جعل وجاعل. ففي هذا التعبير باسم الفاعل**(فالق الإصباح)** دلالة على التجدد والاستمرار. وهذا من شأنه أن يمثل لأعيينا، وفي خواطرنا صورة تنطلق منها صورة لا تنتهي، تشاهد فيها قدرة الله تعالى قائمة على كل شيء، انه ليس إصباح واحد، هو الذي فلقته القدرة الإلهية، ثم تركته يغدو ويروح في الحياة.ولكنه إصباح يولد كل يوم، وهكذا أبد الدهر. أرأيت لو أن النظم جاء هكذا (فلق الإصباح)، فما الذي يترتب على ذلك ؟ انك لا ترى إلا صبحا واحدا يطل على الحياة يغيب ثم يظهر، ويظهر ثم يختفي،وهو هو لا يتغير وجهه،ولا يغير الزمن حوله، والصبح كما تعلم مولد الحياة به يضيء الوجود، ويضمحل الظلام،ويذهب الليل بسواده، ويجيء النهار بضيائه،تتدفق منه الحياة على كل حي ساكنا هامدا، فإذا الأحياء وقد بعثوا جميعا ينتشرون في الأرض، ويبتغون من فضل الله تعالى،ولهذا جاء التعبير عن شروق الصبح**(بالفلق)** الذي يدل على حركة وانشقاق وتصدع، كما تتشقق الأرض، وتتصدع لتخرج النبات كما يقول الله تعالى : **[فَلْيَنْظُرِ الإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ @أَنَّا صَبَبْنَا المَاءَ صَبًّا @ ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا @ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا]** (عبس: 24. 27).

وهنا قد يرد هذا السؤال ما معنى فلق الصبح، والظلمة هي التي تنفلق عن الصبح. كما قال الشاعر

تَرَدَّتْ بِهِ ثُمَّ انْفَرَي عَنْ أَدِيمِهَا... تَفَرَّى لَيْلٍ عَنْ بَيَاضِ نَهَارِ.

وقد أجيب عن ذلك بأجوبة متعددة منها: أن يكون المراد فالق ظلمة الإصباح، وهي الغبش في آخر الليل، ومنقضاه الذي يلي الصبح،ولما كان المراد معلوماً حسن الحذف([51]).

ـ ومن أسرار البيان : أنه عبر في جانب الليل بمادة الجعل،(لأن الظلمة عدم، فتعلق القدرة فيها هو تعلقها بإزالة ما يمنع تلك الظلمة من الأنوار العارضة للأفق. والمعنى أن الله فلق الإصباح بقدرته نعمة منه على الموجودات، ولم يجعل النور مستمرا في الأفق، فجعله عارضا مجزءا أوقاتا لتعود الظلمة إلى الأفق رحمة منه بالموجودات، ليسكنوا بعد النصب والعمل فيستجموا راحتهم.)([52]). كما أن التعبير بالفعل(جعل)،فان النظم المناسب لحال تلك الأكوان التي خلقها الله تعالى، وأقامها في الوجود مقاما واحدا، لا يختلف فيه يومها عن أمسها أو غدها. فالتعبير بالفعل يدل على أن هذا الأمر المتولد عنه قد وجد على الوضع الذي أوجده الله تعالى عليه،،فلا تجدد ولا تبدل،فالليل ساكن خامد،والشمس والقمر قد عرضا هنا في معرض وظيفي "، **(وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا)**بهما تعرف الأزمنة والأوقات، فتنضبط بذلك أوقات العبادات، وآجال المعاملات، ويعرف بها مدة ما مضى من الأوقات التي لولا وجود الشمس والقمر، وتناوبهما، واختلافهما . لما عرف ذلك، عامة الناس، واشتركوا في علمه. بل كان لا يعرفه، إلا أفراد من الناس، بعد الاجتهاد، وبذلك يفوت من المصالح الضرورية، ما يفوت.. فكان التعبير عنهما، وعن الليل الساكن الخامد بالفعل **(جعل)** الذي يدل على مجرد الخلق أنسب تعبير لها المقام، فما الليل وما الشمس والقمر في هذا العرض، إلا أكوان قائمة على أداء وظائف محددة ثابتة لا تعدوها. كما أن في الجعل فيه معنى : التضمين كإنشاء شيء من شيء،أو تصيير شيء شيئاً، أو نقله من مكان إلى مكان. وفي كل موضع ورد فيه الفعل (جعل) في القرآن الكريم كان على هذا المعنى.مثل قوله تعالى : **[الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ...]**(البقرة:22) وغيرها. وهكذا لا يراد من الفعل هنا إلا للدلالة على مجرد وجود الشيء على الصورة التي وجد عليها، ولأداء الوظيفة التي خلق لها.. أرأيت وانك لترى عجبا من آيات القدرة والحكمة،أليس في ذلك آيات لقوم يؤمنون ؟ لذا ختم النص بما يفيد أن ذلك من حكمة الله تعالى العلي القدير.

وهكذا نرى من هاتين الآيتين،كيف يكون كل لفظ فيهمامؤديا معنى خاصا يقصد، ويعطي صورة من البيان،ومن مجموع هذه الصور المتكونة من الكلمات،تكون صورة كلية يتمثل فيها أعلى صور البيان.

الأنموذج الثالث

ومن الآيات التي نجد فيها من أسرار البيان ما يبهر العقول.**قوله تعالى :(وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آَتَيْنَاهُ آَيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ. وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) الاعراف: 175-176**

فالآيتان تصوران إنسانا يؤتيه الله آياته، ويخلع عليه من فضله، ويكسوه من علمه، ويعطيه الفرصة كاملة للهدى. ومع هذا ينسلخ من آيات الله؛ المنزلة على رسوله مع إيضاحها بالحجج والدلائل، ويتجرد من الغطاء الواقي، والدرع الحامي؛ وينحرف عن الهدى ليتبع الهوى؛ ويهبط من الأفق المشرق،فيلتصق بالطين المعتم؛ فيصبح غرضاً للشيطان لا يقيه منه واق، ولا يحميه منه حام؛ فيتبعه ويلزمه ويستحوذ عليه. فصار من زمرة الضالين الراسخين في الغواية بعد أن كان من المهتدين ([53])

ولنتدبر بعض الألفاظ التي تشتمل عليها هاتان الآيتان:

أولا: التعبير بلفظة (**فانسلخ**) وهو ما لا يخفى من المبالغة. يقول أبو السعود(فانسلخ منها) :(أي من تلك الآيات انسلاخ الجلد من الشاة)[54]، ولم يخطرها بباله أصلا،أو خرج منها بالكلية بأن كفر بها،ونبذها وراء ظهره. وأيا ما كان فالتعبير عنه بالانسلاخ المنبىءعن اتصال المحيط بالمحاط خلقة، وعن عدم الملاقاة بينهما أبدا، للإيذان بكمال مباينته للآيات،بعد أن كان بينهما كمال الاتصال)[55] . ويقول الشيخ محمد أبو زهرة :وفي كلمة انسلخ (استعارة، فقد شبه الكفر والفساد بالانسلاخ في الاهاب لكمال الملازمة. ولان الانسلاخ يكون بمعاناة وعنف، إذ أن مادة المطاوعة لا تكون إلا للأفعال التي تحتاج إلى معالجة. فكان هذا تصوير لإثبات أن الكفر ضد الفطرة، وانه يحتاج إلى معاناة للنفس، ومقاومة لدواعي الهدى، ولكنها لا تكون إلا اتباعا لهوى الشيطان)([56]).

اذا وضع هذه اللفظة في هذا المكان، للدلالة على أنها خصت بمعنى لا يمكن أن يتحقق في لفظة أخرى. وهي تشير إلى أن الآيات البينات الدالة على التوحيد أحاطت به، واتصلت بعقله اتصال وثيقا،ولكنه انسلخ منها أي خرج منها بالكلية بأن كفر بها، ونبذها وراء ظهره، فهو نفسه الذي تسبب إلى انسلاخه منها باتباع هواه.ولذا لم يقل الله تعالى فسلخناه منها ([57])

ثانيا :قوله تعالى :(وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا) أي لعظمناه ورفعناه إلى منازل الأبرار من العلماء بتلك الآيات[58].أي :لو شاء الله تعالى رفع هذا الذي آتيناه آياتنا، فأعطاه كل ما فيه رفعة في الدنيا والآخرة بآياتنا، بتوفيقه للعمل بتلك الآيات التي كان آتاها إياه. **(وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ)**أي سكن إلى الحياة الدنيا في الأرض، ومال إليها، وآثر لذتها وشهواتها على الآخرة **(وَاتَّبَعَ هَوَاهُ)** ورفض طاعة الله وخالَف أمرَه[59]. قال أبو جعفر: وأصل "الإخلاد" في كلام العرب: الإبطاء والإقامة، يقال منه: "أخلد فلان بالمكان"، إذا أقام به وأخلد نفسه إلى المكان" إذا أتاه من مكان آخر، و"المخلد" أيضًا: هو الذي يبطئ شيبُه من الرجال وهو من الدواب، الذي تبقى ثناياه حتى تخرج رَباعيتاه[60].

(فَمَثَلُـهُ كَمَثَـلِ الْكَلْـبِ إِنْ تَحْمِـلْ عَلَيْـهِ يَلْهَـثْ أَوْ تَتْرُكْـهُ يَلْهَـثْ) قال بعضـهم: مثَّله به في اللهث، لتركه العمل بكتابِ الله وآياته التي آتاها إياه، وإعراضِه عن مواعظ الله التي فيها إعراض من لم يؤته الله شيئًا من ذلك. فقال جل ثناؤه فيه: إذْ كان سواء أمرُه، وُعِظَ بآيات الله التي آتاها إياه، أو لم يوعظ، في أنه لا يتَّعظ بها، ولا يترك الكفر به،فمثل هذا الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها، مثلُ الكلب الذي يلهث، طردْته أو تركته[61].

فشبه سبحانه من أتاه كتابه وعلمه العلم الذي منعه غيره فترك العمل به واتبع هواه وآثر سخط الله على رضاه ودنياه على آخرته والمخلوق على الخالق بالكلب الذي هو من أخبث الحيوانات وأوضعها قدرا وأخسها نفسا وهمته لا تتعدى بطنه وأشدها شرها وحرصا. يقول الزمخشري :(وكان حق الكلام أن يقال : ولو شئنا لرفعناه بها،ولكنه أخلد إلى الأرض فحططناه ووضعنا منزلته، فوضع قوله { فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الكلب } موضع حططناه أبلغ حط لأن تمثيله بالكلب في أخس أحواله وأذلها في معنى ذلك)[62] **{ ذلك مَثَلُ القوم الذين كَذَّبُواْ بئاياتنا }** فعم بهذا التمثيل جميع المكذبين بآيات (وقد جاءهم من لا يشكون في صدقه، وديانته فكذبوه، فحصل التمثيل بينهم وبين الكلب الذي إن تحمل عليه يلهث، أو تتركه يلهث،لأنهم لم يهتدوا لما تركوا، ولم يهتدوا لما جاءهم الرسول، فبقوا على الضلال في كل الأحوال،مثل هذا الكلب الذي بقي على اللهث في كل الأحوال)[63].

الأنموذج الرابع

ومن الآيات التي يقول فيها أهل العلم إن طوق البشر قاصر عن الإتيان بمثلها في فخامة ألفاظها، وحسن نظمها،وجودة معانيها في تصوير الحال، مع الإيجاز من غير إخلال[64] :

قوله تعالى :(وقِيلَ يَا أرْضُ ابْلَعي ماءَكِ ويا سَمَاءُ أَقْلِعِي وغَيضَ الماءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ واسْتَوَتْ عَلَى الجُودِيِّ وقِيلَ بُعْداً لِلقَوم الظَّـالِمين) {هود:44}. وقد تعرض لبيان بعض ما اشتملت عليه هذه الآية من مزايا،المهرة المتقنون،وتركوا من ذلك ما لا يكاد يصفه الواصفون، ولا بأس بذكر شيء مما ذكر، من هؤلاء الجهابذة :عبد القاهر يقول في كتابه القيم دلائل الإعجاز : (وهل تشكُّ إذا فكرتَ في قولِهِ تعالى : (وقِيلَ يَا أرْضُ ابْلَعي ماءَكِ ويا سَمَاءُ... الآية). فتجلَّى لك منها الإعجازُ، وبَهرك الذي تَرى وتَسمع ! أنك لم تَجدْ ما وجدتَ منَ المزيَّةِ الظاهرة،والفضيلةِ القاهرة،إلا لأمرٍ يرجعُ إلى ارتباطِ هذه الكلمِ بعضِها ببعضٍ، وأن لم يعرضْ لها الحسنُ والشرفُ إلاّ مِنْ حيثُ لاقتِ الأولى بالثانية، والثالثة بالرابعة، وهكذا إلى أن تستقرِيَها إلى آخرِها، وأنَّ الفضلَ تَنَاتَجَ ما بينها،وحصلَ من مجموعها.إن شككتَ[65] فتأملْ ! هل ترى لفظةً منها بحيثُ لو أُخذتْ من بين أخواتها،وأُفردتْ لأدَّتْ منَ الفصاحة ما تؤديه،وهي في مكانها منَ الآية، قُل : " ابلعي " واعتَبِرْها وحدَها من غيرِ أن تنظرَ إلى ما قبلها، وإلى ما بعدَها،وكذلك فاعتبرْ سائرَ ما يليها. وكيفَ بالشكِّ في ذلك ؟ ومعلومٌ أنَّ مبدأ العظمةِ في أن نُوديتِ الأرضُ،ثم أُمرتُ، ثم في أنْ كانَ النداءُ ب " يا " دُوْنَ " أيّ " نحوُ : يا أيتها الأرضُ. ثم إضافةُ الماءِ إلى

الكافِ دونَ أن يقالَ : ابلعي الماءَ ثم أنْ أُتبعَ نداءُ الأرض، وأمرُها بما هو من شأنها ونداءُ السماء وأمرُها كذلك بما يخصُّها. ثم أنْ قيلَ : وغيضَ الماءُ. فجاء الفعل على صيغة " فُعِلَ " الدالَّة على أنه لم يَغِضْ إلاّ بأمرِ آمرٍ، وقدرةِ قادر. ثم تأكيدُ ذلك وتقريره بقولهِ تعالى : (قُضِيَ الأمرُ). ثم ذكَر ما هو فائدةُ هذهِ الأمورِ،وهو(استوتْ على الجوديَّ). ثم إضمارُ السفينةِ قبلَ الذكرِ كما هو شَرْطُ الفخامةِ، والدَّلالةِ على عِظَمِ الشأن. ثم مقابلةُ " قيل " في الخاتمةِ ب " قيل " في الفاتحة. أَفَتَرى لشيءٍ من هذه الخصائصِ التي تملؤك بالإعجازِ روعةً، وتحضُرُك عندَ تصورِها هيبةٌ، تحيطُ بالنفس من أقطارِها، تعلقاً باللفظ من حيثُ هو صوتٌ مسموعٌ، وحُرُوفٌ تَتوالى في النُّطق،أم كلُّ ذلك لما بينَ معاني الألفاظ منَ الاتَّساق العجيب)[66].

والحقيقة أن هذا العالم ليس وحده الذي كشف لنا ألوانا من القول عن مكنون جواهر هذه الآية، وكريم دررها، ورفع لأعيننا منارات من البيان، بل غيره كثير من علماء البلاغة، وأهل التفسير،منهم : الشوكاني[67].والقرطبي [68]. والإمام جعفر بن الزبير[69]. وممن كشف عن أسرار الفصاحة في هذه الآية الكريمة،وبذل غاية الجهد في استجلاء معالم البلاغة فيها، الزمخشري[70]. والسكاكي.[71] والسيوطي[72] وابن أبي الإصبع الذي يقول في هذه الآية الكريمة: (ولم أر في الكلام مثل قوله تعالى: ويا أرض ابلعي ماءك، فإن فيها عشرين ضربا من البديع،وهي سبع عشرة لفظة...)[73].

ولا بأس بذكر شيء مما ذكر إضافة إلى ما تقدم بيانه،زيادة في الكشف والإيضاح، إفادة وتذكيرا،والذكرى تنفع المؤمنين، يقول الزمخشري: (نداء الأرض والسماء بما ينادي به الحيوان المميز على لفظ التخصيص، والإقبال عليهما بالخطاب من بين سائر المخلوقات، وهو قوله : «يا أرض»، «ويا سماء» ثم أمرهما بما يؤمر به أهل التمييز والعقل من قوله : «ابلعي ماءك» و «أقلعي» من الدلالة على الاقتدار العظيم، وأن السموات والأرض، وهذه الأجرام العظام، منقادة لتكوينه فيها ما يشاء غير ممتنعة عليه، كأنها عقلاء مميزون،قد عرفوا عظمته وجلالته وثوابه،وعقابه وقدرته على كل مقدور، وتبينوا تحتم طاعته عليهم،وانقيادهم له، وهم يهابونه ويفزعون من التوقف دون الامتثال له، والنزول على مشيئته على الفور من غير ريث، فكما يرد عليهم أمره كان المأمور به مفعولاً لا حبس ولا إبطاء. والبلع : عبارة عن النشف. والإقلاع : الإمساك. يقال : أقلع المطر وأقلعت الحمى {وَغِيضَ الماء } من غاضه إذا نقصه { وَقُضِىَ الأمر } وأنجز ما وعد الله نوحاً من هلاك قومه {واستوت } واستقرّت السفينة { عَلَى الجودى } وهو جبل بالموصل { وَقِيلَ بُعْدًا } يقال بعد بعدا وبعدا، إذا أرادوا البعد البعيد من حيث الهلاك والموت، ونحو ذلك، ولذلك اختص بدعاء السوء، ومجيء أخباره على الفعل المبني للمفعول، للدلالة على الجلال والكبرياء، وأنّ تلك الأمور العظام لا تكون إلا بفعل فاعل قادر، وتكوين مكون قاهر، وأنّ فاعلها فاعل واحد لا يشارك في أفعاله، فلا يذهب الوهم إلى أن يقول غيره : يا أرض ابلعي ماءك ويا

سماء أقلعي، ولا أن يقضي ذلك الأمر الهائل غيره، ولا أن تستوي السفينة على متن الجودي،وتستقر عليه إلا بتسويته وإقراره، ولما ذكرنا من المعاني والنكت استفصح علماء البيان هذه الآية ورقصوا لها رؤسهم، لا لتجانس الكلمتين، وهما قوله : «ابلعي» و «أقلعي» وذلك،وإن كان لا يخلي الكلام من حسن، فهو كغير الملتفت إليه بإزاء تلك المحاسن التي هي اللب وما عداها قشور)[74].

أليس فيما قرره الزمخشري وغيره، أن الآية الكريمة، تناولت مدار الفصاحة والبلاغة من جهاتها المتعددة علم المعاني،وعلم البيان، وهما مرجعا البلاغة ، والفصاحة المعنوية واللفظية، فألفاظها على ما ترى عربية مبينة، مستعملة جارية على قوانين اللغة،سليمة من التنافر، بعيدة عن البشاعة. وكذلك ما تضمنته الآية الكريمة، من حسن التنسيق، فقد جاءت بجمل متتاليات، معطوف بعضها على بعض بواو النسق على الترتيب الذي تقتضيه البلاغة من الابتداء بالاسم الذي هو انحسار الماء عن الأرض، المتوقف عليه غاية مطلوب أهل السفينة، من الإطلاق من سجنها، ثم إنقطاع مادة السماء المتوقف عليه تمام ذلك، من دفع أذاه بعد الخروج،.... ثم بقضاء الأمر الذي هو هلاك من قدر هلاكه، ونجاة من سبق نجاته..... ثم أخبر باستواء السفينة، وإستقرارها المفيد ذهاب الخوف،وحصول الأمن من الإضطراب، ثم ختم بالدعاء على الظالمين لإفادة أن الغرق وإن عم الأرض، فلم يشمل إلا من إستحق العذاب لظلم[75]

ولا تظنَّنَّ الآية مقصورة على ما ذكرتُ، فلعل ما ترك أكثرُ مما ذكر ،وهناك من الأسرار ما لو شرح ما اندرج في هذه الآية الكريمة من بديع اللفظ والبلاغة والإيجاز والبيان، لجفت الأقلام وانحسرت الأيدي.

والحاصل(أن هذه الآية الكريمة قد بلغت من مراتب الإعجاز أقاصيها، واستذلت مقاصع العرب، فسفعت بنواصيها،وجمعت من المحاسن ما يضيق عنه نطاق البيان،وكانت من سمهري البلاغة مكان السنان، حتى انه يروى أن ابن المقفع،وكان كما في القاموس فصيحا بليغا بل قيل : إنه أفصح أهل وقته، رام أن يعارض القرآن فنظم كلاما، وجعله مفصلا،وسماه سورا، فاجتاز يوما بصبي يقرؤها في مكتب، فرجع ومحا ما عمل وقال : أشهد أن هذا لا يعارض أبدا وما هو من كلام البشر)[76].

بعد هذا التوضيح الذي حاول فيه العلماء أن يتساموا إلى أن يذكروا مواضع الفصاحة أو البلاغة في كل الكلمات التي ساقوها، وكون كل كلمة في موضعها ذات بلاغة خاصة تصور صورة بيانية رائعة وهي مع أخواتها تتلاقى في صورة كاملة، لها أطياف تروع القارئ، وتستولي على لب المتفهم .

وبعد : فأكتفي بذكر هذه النماذج الأربعة،وهكذا سائر آيات القرآن العظيم في كتاب الله تعالى، فقد ضرب المثل الأعلى المعجز في كافة مواضيعه وفنونه، وتفوق أسلوبه البياني برسم الألوان البلاغية في ذرى الإبداع والروعة، فتجلى للأبصار والأفئدة شيئا عظيما نقيا صافيا من أي تكلف أو تأنق مفتعل.

فالروعة الفريدة في القران الكريم أنه حين يسوق الفنون البلاغية خصبة وفيرة، يزجيها بعيدة غاية البعد عن جمود التكليف وجفاء التصنع.كما أنها تجيء سلسبيلا تروي الغليل وتلامس شغاف القلوب وتمتزج بعواطف النفوس، فتفجر فيها ينابع الخير وتسدد اندفاعها لتحقيق أهداف الإيمان بالله تعالى. وبالله التوفيق

أهم النتائج التي توصل إليها البحث:

ألقينا في هذا البحث القصر نظرة على الفصاحة والبلاغة ومدار كل منهما ، ثم ذكرنا نماذج لبلاغة القرآن الكريم، ويمكن أن نلخص النتائج التي توصل إليها البحث في النقاط التالية:

(ا) احساس العرب ببليغ الكلام وتذوقه كان فطريا وجبلة وطبعا، يستند على بصرهم المحكم الذي يميزون به ما يحسن من المعاني وما يقبح، وعلى معرفتهم الدقيقة بدلالات الألفاظ ومراميها.

(2) إن أحق العلوم بالتعلم وأولاها بالتحفظ بعد المعرفة بالله تعالى، علم البلاغة،ومعرفة الفصاحة لأنه به يعرف إعجاز كتاب الله تعالى الناطق بالحق الهادي إلى سواء السبيل.

(3) فصاحة الكلمة تتوقف على صفات عدة منها : سلامتها من تنافر الحروف فتكون رقيقة عذبة تخف على اللسان،ولا تثقل على السمع. وسلامتها من الغرابة بان تكون مأنوسة مألوفة الاستعمال. وسلامتها من الشذوذ،وهي مخالفة القياس الصرفي. وسلامتها من الكراهة في السمع لكونها وحشية تأنفها الطباع،وتمجها الأسماع.

(4)احتواء القران الكريم على أفصح الألفاظ الرائعة المعبرة التي استرعت أنظار العرب ذوي الفصاحة في العربية، فقد أوردها موردا لم يقع مثله لمخلوق قط، فلو استعرضته كله مرة تلو الأخرى ما رأيت فيه البتة لفظا موحشا،ولا هجينا أو ثقيلا كريها مما تنفر منه الطباع المهذبة، أو تمجه الأسماع المرهفة.

(5) تلمس إعجاز القران الكريم البياني، منوط بمدى البراعة في الفصاحة والبلاغة فهما يمتازان على غيرهما بأنهما أكثر دقة وعمقا، فهما لا تقفان عند حدود الألفاظ وعلاقة بعضها مع بعض، ولكنهما تتعديان ذلك إلى الغوص على المعاني ، والكشف عما وراء دلالات الألفاظ الظاهرة من استعارات،ونحو ذلك.

(6)حتى يكون البليغ بليغا لا بد من تحقيق أمرين اثنين :

الأمر الأول : أن يكون عالما بطرق الفصاحة،ومذاهب البلاغة،منعما النظر فيها،، وكان كثير القراءة، والاطلاع على البليغ من الكلام،وخصوصا كتاب الله تعالى،وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم. مع دراسة المقارنات البلاغية المعقودة، لبيان سعة الشقة بين سمو القران الكريم، وتدني غيره عن رتبته، وهذا من شأنه يعزز الملكة الوهبية.

والأمــر الثــاني : أن يكــون فيــه رقــة فــي الطبع،ورهافـة فـي الحس البلاغـي، وأن يكـون مرهـف الذوق في سائر فنون اللغة منظومها ومنظورها،وهذا كله من شأنه أن تجعل في البليغ من الشفافية ما يؤهله لإدراك دقائق المعاني، ولطائف النكات والإشارات، وأن تمكنه مراعاة أحوال الخطاب،وتخير المقال المناسب لكل مقام، من حيث ما ينسجم مع الحال من ظروف نفسية واجتماعية وغيرهما، واختيار ما تبنى منه العبارات من ألفاظ، تتناغم مع المقام وتصوره على خير ما يرام من ناحية أخرى.

فهرس الهوامش

[1] – انظر: الباقلاني،أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم ،إعجاز القرآن، دار المعارف – القاهرة ، تحقيق : السيد أحمد صقر، فصل في بيان وجه الدلالة، 1، 27. وسأشير إليه لاحقا : الباقلاني، إعجاز القرآن.وانظر: الزركشي ت 794 هـ، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، البرهان في علوم القرآن، ت : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1376 هـ – 1957 م، 106/2.وسأشير إليه لاحقا : الزركشي، البرهان.

[2] – الباقلاني، إعجاز القرآن، 1 /27.

3. ابن منظور، لسان العرب، 3420/5

4. السكاكي، مفتاح العلوم ص 414

5. السكاكي ، مفتاح العلوم، ص 414-416

6. انظر، ابن منظور، لسان العرب، مادة (بلغ)، 346/1

7. الجاحظ، البيان والتبيين، 106/1

8. الجاحظ، البيان والتبيين، 113/1

9. المصدر نفسه، 115/1

10. الراغب الاصفهاني، المفردات، ص 144-145

[11] – انظر: القزويني، جمال الدين محمد بن عبد الرحمن ،الإيضاح في علوم البلاغة، شرح وتعليق وتنقيح محمد عبد المنعم خفاجي، بيروت / لبنان، دار الجيل، ط3، د ت، ج1، ص 41،44. وسأشير إليه لاحقا : القزويني– الإيضاح. وانظر:عوني، حامد،المنهاج الواضح للبلاغة، ط4،دار الكتاب العربي، سنة 1373هـ – 1954 م، 34 وما بعدها. وسأشير إليه : عوني، المنهاج الواضح.

[12] – لقد أورد ابن رشيق القيرواني ت 465هـ في كتابه العمدة، طائفة كثيرة منها للاطلاع عليها،انظر ص213.

[13] – انظر: القزويني،الإيضاح في علوم البلاغة. ج1، ص 49.

[14] – للاطلاع على استعمالات هذه الكلمة في القران الكريم وبيان دلالاتها انظر : عباس، فضل، البلاغة فنونها وأفنانها ص 19، 20.

[15] – انظر، العلوي – الطراز، 1995م.

[16] – انظر : ابن الأثير الكاتب، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق محي الدين عبد الحميد ، بيروت، المكتبة العصرية، دط، 1955. ج1 / 26.وسأشير إليه لاحقا :ابن الأثير الكاتب – المثل السائر.

[17] – ابن الأثير الكاتب – المثل السائر ج1 / 26.

[18] – انظر لما سبق، التفتازاني، المختصر، 46-51، لمعرفة كيفية اتقاء هذه العيوب، انظر عوني، حامد،المنهاج الواضح للبلاغة، 39، 40.

[19] –القلقشندي – صبح الأعشى، ج1، ص 219، 220.

[20] – أبو القاسم،محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، الكشاف ص 15، 17. وسأشير إليه لاحقا :الزمخشري – الكشاف.

[21] – انظر : أبو موسى، محمد محمد، دلالات التراكيب ص 166، 167.

[22] –وللاطلاع على أقوالهم في هذا الشأن انظر:القلقشندي – صبح الاعشى/ 219، 220. العسكري ، كتاب الصناعتين، ص 1، 2 . الزمخشري– الكشاف ج1 / ص 15، 17. وانظر : عبد القاهر – دلائل الإعجاز.

[23] –عن علي رضي الله عنه: العلم علمان: مطبوع ومسموع، ولا ينفع المسموع إذا لم يكن المطبوع. انظر : الزمخشري، ربيع الأبرار، باب العلم والحكمة والأدب، 1 / 326.

[24] – انظر : الأصفهاني، أبو الفرج، ت : سمير جابر، بيروت، دار الفكر، ط2، دت، ج3،ص 158.وانظر :الجمل، محمد أحمد،الوجوه البلاغية في توجيه القراءات القرآنية المتواترة، دار الفرقان، العبدلي، ط1، 1430هـ – 2009م، ص 227.

[24] السيوطي، المزهر، 1/186-187

[25] –انظر:عبد القاهر– دلائل الإعجاز، ص 224.

[26] – ضيف، شوقي، البلاغة تطور وتاريخ،القاهرة، دار المعارف، ط8، 1992م، ص 9، 10. وانظر الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ص 358، 389.

[27] – احتضاره أي حضوره، والناجي السريع لأنه ينجو به صاحبه من مطاردة العدو، والصيعرية : علامة تكون في عنق الناقة،ولا تكون في البعير، والمكدم : الموسوم بالكي. وينسب هذا البيت أيضا للمسيب بن علس.

[28] – قَال أبو عبيد : يضرب هذا في التخليط. انظر : أبو الفضل،أحمد بن محمد الميداني النيسابوري، مجمع الأمثال، دار المعرفة – بيروت،تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد، 2 / 93.

[29] – النيسابوري،أبو الفضل، مجمع الأمثال.

[30] – انظر :عبد القاهر – دلائل الإعجاز، 1/ 54،55، 56 .

[31] – أبو النجم: هو الفضل بن قدامة، وهو من رجال الإسلام، والفحول المتقدمين في الطبقة الأولى منهم، وله مع هشام بن عبد الملك أخبار طويلة.

[32] – قيل هذا البيت في وصف الشمس، والأحول: ظهور البياض في مؤخر العين، ويكون السواد من قبل الماق.

[33] – ابن رشيق القيرواني،العمدة في محاسن الشعر وآدابه، 1 /73.

[34] –جرير هو ابن عطية التميمي، أحد الشعراء الثلاثة المقدمين في دولة بنى أمية، وهم الأخطل، و جرير، والفرزدق، وقد فاق صاحبيه في بعض فنون الشعر، وتوفى سنة 110هـ.

[35] –سيف الدولة: هو أبو الحسن على بن عبد الله بن حمدان، كان ملكاً على حلب، وكان أدبياً شاعراً مجيدًا محباً لجيد الشعر،شديد الاعتزاز له؛ قيل : لم يجتمع بباب أحد من الملوك بعد الخلفاء، ما اجتمع ببابه من الشعراء، وقد انقطع المتنبي إليه وخصه بمدائحه. وكانت ولادته سنة 303 هـ وهي سنة ولادة المتنبي، ووفاته سنة 356 هـ بعد مقتل المتنبي بسنتين.

[36] –ابن وكيع: شاعر مجيد، أصله من بغداد، ولد في تنيس بمصر، توفى بها سنة 393هـ،وله ديوان شعر.

[37] – انظر عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي،يسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان المحقق : عبد الرحمن بن معلا اللويحق الناشر : مؤسسة الرسالة،الطبعة : الأولى 1420هـ –2000 م،1 / 912.

[38] – سيد قطب، في ظلال القرآن،الباب،1 /ج7/572.

[39] – بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز,للفيروزأبادي،5/ 123.

[40] – ابن منظور، لسان العرب،الباب نفس، 6/ 233.

[41] – إبراهيم مصطفى . أحمد الزيات . حامد عبد القادر . محمد النجار، المعجم الوسيط، تحقيق / مجمع اللغة العربية2/ 801.

[42] –العسكري، الصناعتين 1 / 84.

[43] – الزمخشري، الكشاف، 7 / 241.

[44] – أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي،مفاتيح الغيب 16 / 377. وسأشير إليه : الفخر الرازي : مفاتيح الغيب

[45] – انظر هذا المثال في المعجزة الكبري للإمام محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، ص112.

[46] – انظر : الفخر الرازي : مفاتيح الغيب ج6، 385،384، 386.

[47] – انظر: عبد القاهر – دلائل الإعجاز، بيروت، 1/ 141، 142، 143.

[48] – الفخر الرازي – مفاتيح الغيب، 6 / 386.

[49] – الفخر الرازي– مفاتيح الغيب، 6/ 385 .

[50] – انظر :أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيّان، تفسير البحر المحيط، 5، 211. والخازن، أبو الحسن علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي، لباب التأويل في معاني التنزيل، 2/ 428. وانظر : النسفي، تفسير النسفي،1، 336. وانظر : محمد بن علي الشوكاني،فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، 2/ 206.وساشير اليه : الشوكاني، فتح القدير.

[51] – انظر هذه الإجابات، الزمخشري – الكشاف، 2/ 146.

[52] – محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي ت : 1393هـ،التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1420هـ/2000م، 6، 233.

[53] – انظر : سيد قطب في ظلال القرآن، 3 / 320.

[54] –: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهانى،مفردات غريب القرآن 1 / 283.

[55] – محمد بن محمد العمادي أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم،دار إحياء التراث العربي – بيروت ج3 / 292.

[56] –الإمام محمد أبو زهرة، المعجزة الكبرى القران الكريم، دار الفكر العربي ،ص 115.

[57] – انظر :التفسير القيم لابن القيم 70/5

[58] – الزمخشري، الكشاف 2 /311.

[59] – انظر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، [224 – 310 هـ]،جامع البيان في تأويل القرآن المحقق : أحمد محمد شاكر، الناشر : مؤسسة الرسالة الطبعة : الأولى، 1420 هـ– 2000 م، ج13 / ص 261، 269، 270، 271، 272.وسأشير إليه : الطبري : جامع البيان.

[60] – انظر الطبري، جامع البيان، ص 13 /، 270، 271 (المخلد : مجاز القرآن لأبي عبيدة 1 : 233 / ثم معاني القرآن للفراء 1 : 399).

[61] – الطبري :جامع البيان 13 / 271.

[62] – الكشاف :الزمخشري جار الله 2 / 311.

[63] – الفخر الدين الرازي :مفاتيح الغيب، 7 / 300.

[64] –عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، انظر الإتقان في علوم القران، باب إيجاز القصر، دار الفكر، 1416هـ، 2/ 148.

[65] –أي فيما لارتباط الكلمات في الآية الكريمة من فضل في هذه المزايا التي تجدها فيها.

[66] –عبد القاهر – دلائل الإعجاز 52/1، 53، 54.

[67] – الشوكاني، فتح القدير، ج2، 258.

[68] – محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبو عبد الله،الجامع لأحكام القرآن، 9، 37.

[69] – إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي،نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، الباب 1، ج8، 293.

[70] – الزمخشري – الكشاف،89/3.

[71] – انظر التفاصيل : السكاكي،يوسف، مفتاح العلوم، ا ت 626هـ،المطبعة الأدبية، مصر، 1317هـ. ص 221، 224.

[72] – انظر السيوطي – الإتقان في علوم القران، باب، حسن النسق، 248،2.

[73] –السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، باب الإبداع، ج2، 258. وانظر ابن أبي الإصبع المصري،بديع القرآن، ص 340 – 343.

[74] – الزمخشري – الكشاف،89/3.

[75] – انظر السيوطي – الإتقان في علوم القران، باب، حسن النسق، 248،2.

[76] – محمود الألوسي أبو الفضل،روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج12، 63.

المراجع

1. ابن الأثير الكاتب، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر تحقيق محي الدين عبد الحميد ، بيروت، المكنية العصرية، دط، 1955.
2. أصفهاني، الراغب، مفردات ألفاظ القرآن، ت: صفوان داودي، دار القلم، بيروت، ط1، 1992/1412.
3. الاصفهاني، أبو الفرج، ت : سمير جابر، بيروت، دار الفكر، ط2، دت.
4. محمود الألوسي أبو الفضل، محمود بم عبد الله بن محمود درويش الحسيني روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.
5. الأندلسي،أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيّان، تفسير البحر المحيط، بيروت، دار الكتب العلمية.
6. الباقلاني،أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم الباقلاني ، إعجاز القرآن،الناشر : دار المعارف – القاهرة ، تحقيق : السيد أحمد صقر.
7. التفتازاني، سعد الدين، مختصر المعاني، تعليق: محمد محيي الدين عبدالحميد، انتشارات سيد الشهداء، قم ، إيران، ط1، 1409هـ.
8. الجاحظ، عمر بن عثمان، البيان والتبيين، ت: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1998/1418

9. الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، دلائل الإعجاز،دار الكتاب العربي – بيروت،الطبعة الأولى، 1995، تحقيق : د.محمد التنجي، ج1/ 61.

10. الخازن، أبو الحسن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي البغدادي، لباب التأويل في معاني التنزيل، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1415،1هـ، 1995م

11. الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي، الملقب بفخر الدين الرازي،مفاتيح الغيب، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1990م.

12. الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر ت 794 هـ، البرهان في علوم القرآن ،ت : محمد أبو الفضل إبراهيم،دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1376 هـ- 1957 م

13. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله،، الكشاف.

14. ـــــ، أساس البلاغة، بيروت، مكتب لبنان، ط1، 1996م.

15. سعد، محمود توفيق محمد،نظرية النظم وقراءة الشعر عند عبد القاهر الجرجاني.

16. السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن محمد ت 626هـ، مفتاح العلوم، المطبعة الأدبية، مصر، 1317هـ.

17. ابن السراج، أبي بكر محمد بن سهل النحوي البغدادي،الأصول في النحو،مؤسسة الرسالة،بيروت،الطبعة الثالثة، 1988،تحقيق : د.عبد الحسين الفتلي.

18. السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي، مفتاح العلوم، ضبطه، نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1983/1403

19. السمين الحلبي، احمد بن يوسف، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، ت: محمد التونجي، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1993/1414

20. السيوطي،جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال، الإتقان في علوم القرآن، دار الفكر،ط1.

21. السيوطي، جلال الدين، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ت: محمد أحمد جاد المولي، محمد ابو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، انتشارات فيروز آبادي، ط1، قم ، إيران. 1410هـ.

22. الشوكاني،محمد بن علي، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، القاهرة، دار الحديث، ط1، 1413 هـ – 1993م.

23. أبو الفتح،ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الموصلي، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ،المكتبة العصرية، بيروت، 1995.

24. ضيف، شوقي، البلاغة تطور وتاريخ،القاهرة، دار المعارف، ط8، 1992م.

25. ابن عاشور،محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي(المتوفى : 1393هـ)،التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1420هـ/2000م.
26. عباس، فضل، البلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني، عمان، الأردن، دار الفرقان، ط5 1418هـ، 1998م.
27. عوني، حامد،المنهاج الواضح للبلاغة، ط4،دار الكتاب العربي، سنة 1373هـ – 1954 م
28. عبد الرزّاق الحسيني أبو الفيض،تاج العروس من جواهر القاموس،محمّد بن محمّد ،، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي.
29. أبو الفتح / عثمان بن جني، الخصائص،عالم الكتب، بيروت،تحقيق : محمد علي النجار، فصل في التقديم والتأخير.
30. أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري، مجمع الأمثال، دار المعرفة – بيروت،تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد.
31. : أبو محمد،عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، فصل في المضمر،دار الجيل، بيروت،الطبعة الخامسة، 1979.
32. العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل، كتاب الصناعتين، ت: على محمد البجاوي، صيدا، بيروت، المكتبة العصرية، 1419هـ – 1998م.
33. ابن عقيل، بهاء الدين عبدا لله القيلي الهمداني،شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ت، محمد محيي الدين عبد الحميد، صيدا، بيروت، المكتبة العصرية، 1419هـ، 1998م
34. العلوي، يحيى بن حمزة، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، مراجعة وضبط وتدقيق محمد عبد السلام شاهين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1415 هـ، 1995م.
35. ابن فارِس، أبو الحسين أحمد بن فارِس بن زكَرِيّا ،مقاييس اللغة، ت: عبد السَّلام محمد هَارُون،بيروت، دار الجيل.: اتحاد الكتاب العرب، 1423 هـ = 2002م.
36. القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح أبو عبد الله،الجامع لأحكام القرآن، بيروت،دار الفكر العلمية، ط1414هت – 1994.
37. القزويني، جمال الدين محمد بن عبد الرحمن ،الإيضاح في علوم البلاغة.شرح وتعليق وتنقيح محمد عبد المنعم خفاجي، بيروت / لبنان، دار الجيل، ط3،دت.
38. القلقشندي، أحمد بن علي صبح، الأعشى في صناعة الإنشا ، تحقيق : د.يوسف علي طويل، دار الفكر، دمشق،الطبعة الأولى، 1987،تحقيق.

39. ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري، لسان العرب،الناشر : دار صادر،بيروت،ط1.
40. أبو موسى،محمد محمد،دلالات التراكيب دراسة بلاغية القاهرة،مكتبة وهبة،ط2، 1987.
41. الجمل، محمد أحمد، الوجوه البلاغية في توجيه القراءات القرآنية المتواترة، دار الفرقان، العبدلي، ط1، 1430هـ - 2009م.
42. الهاشمي، السيد أحمد، البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبط وتدقيق :يوسف الصميلي، بيروت المكتبة العصرية، 1422هـ، 2002م.
43. منظور، لسان العرب، ت: عبدالله الكبير، محمد حسب الله، هاشم الشاذلي، دار المعارف، القاهرة.